﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

[القلم: 37 - 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بـعـدَ تفنيدِ الدَّليلِ العقليِّ يَجري إسقاطُ الدَّليلِ النَّقليِّ

لمّا أبطلَ النَّظمُ القرآنيُّ دليلَهم العقليَّ على أنَّ لهم جَزاءً أوفَرَ مِن جَزاءِ المُسلمينَ أوْ مُساويًا لهم على فرضِ صحَّةِ الحشرِ والنَّشر؛ ناسبَ أنْ يُبطِلَ دليلَهم النَّقلي على أنَّ لهم ما يَشتهونَ، ويَتخيَّرونَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَدْرُسُونَ﴾: (درس) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خَفاءٍ وخفضٍ وعَفاء، فالدَّرس: الطَّريقُ الخفيُّ، يقالُ: درسَ المنزلُ، أي: عفا[1]، مِن بابِ (قعَدَ)، ودرسَ الكتابُ: عَتِقَ، ودرَسْتُ العلمَ دَرْسًا من بابِ (قَتَلَ)، ودراسةً: قرأتُه، والمَدرسَةُ: موضِعُ الدَّرس[2]، فهو جَرَيان العملِ والاستعمالِ بقصدِ الاستفادةِ والاستنتاج، وحقيقةُ المادَّة: مزاولةٌ في عمَلٍ حتّى يتحصَّلَ أثرُهُ وما يترتَّبُ عليه، والمرادُ به في الآية: تكريرُ المُراجعةِ للكتاب وتحقُّقُ الجرَيان والعمل في طريقِ حُصولِ الأثَرِ والنَّتيجةِ المَطلوبةِ المُناسبة[3].

2) ﴿تَخَيَّرُونَ﴾: (خير) أصلُهُ العَطفُ والمَيلُ، ثمَّ يُحمَلُ عليهِ، فالخيرُ خِلافُ الشَّرِّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يميلُ إليه، ويُعطَفُ، ويَعْطِف على صاحبِهِ[4]، والخيَرةُ: اسمٌ منَ الاختيارِ، مثلُ الفِدية منَ الافتداء، والخيَرة بمعنى الخيار، والخيار هو الاختيارُ، ومنه يقالُ لهُ: خيار الرُّؤيةِ، ويقالُ: هي اسمٌ مِن تخيَّرتُ الشَّيءَ[5]، فهو انتخابُ شيءٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درس).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (درس).
(3) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 3/ 191.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خير).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (خير).

واصطفاؤُهُ وتفضيلُهُ على غيره، ففيه قيدانِ: الانتخابُ والاختيارُ والتَّفضيلُ، وهذانِ القيدانِ ملحوظانِ في جميعِ صيغِ اشتقاقِها، والمُرادُ بهِ في الآيةِ: تَتَخيَّرونَ، فإنَّ التَّفعُّلَ لمُطاوعةِ التَّفعيل، يقالُ: خيَّرهُ، أي: جعلَهُ ذا اختيارٍ، فتَخَيَّرَ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأحكام الصّادرة عن هوًى بلا دليل قائدةٌ إلى ضلالٍ سواء السَّبيل

أي: أفبأيديكم كتابٌ مُنَزَّلٌ من السَّماءِ تقرؤونَهُ، وتدرسونَهُ، وتَحفظونَهُ، وتَتَداولونَهُ بنقلِ الخَلَفِ عنِ السَّلَف، يتضمَّنُ أنَّ ما تختارونَهُ، وتشتهونَهُ لكم[2]؟ قال الهرريُّ: "أفَسَدت عقولُكم حتّى حكمتم بهذا؟ أم جاءكم كتابٌ فيه تخييركم، وتفويضُ الأمرِ إليكم"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعنى ﴿أَمْ﴾ والغرضُ منها:

الإضرابُ والإنكار في تفنيدِ مكتوبٍ يُؤيِّدُ حقَّ الاختيار

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بلفظِ ﴿أَمْ﴾ المُنقطعةِ، في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ للدَّلالة على الإضرابِ عنِ الاستفهامِ السّابق والانتقالِ إلى استفهامٍ آخرَ؛ لتضمُّن (أمْ) مَعنى (بلْ والهمزة) هنا، وإلّا لزمَ أنَّ لهم كتاباً يَدرسونَهُ، وفيه حقُّ الاختيار لهُم، فالتَّقديرُ: (بلْ ألكُم)، فـ(أم) فيه مُنقطعةٌ بمعنى (بل) الإضرابيَّة، والهمزةُ للإنكار[4]، وهذا هو التَّقريعُ الرّابعُ[5]، والمنعُ لأنْ يكونَ لهم دليلٌ نقليٌّ يَعتمدونَ عليه في أنَّ لهم أفضليَّةً أوْ مُساواةً للمُسلمين في الجزاءِ يوم القيامة، بعدَ أنْ نفى دَعواهم بالسَّند على عدمِ التَّساوي بينَ المُسلمينَ والمُجرمينَ عند اللّه في الجَزاء، قال ابنُ عاشور: "إضْرابُ انتقالٍ من تَوْبيخٍ إلى احْتِجاجٍ على كَذِبِهِمْ، والاستِفْهامُ المُقَدَّرُ مَعَ (أمْ) إنْكارٌ لأنْ

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 3/ 153.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1538.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 38، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 102.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 101.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 125.

يَكونَ لَهُمْ كِتابٌ إنْكارًا مَبْنيًّا عَلَى الفَرْضِ، وإنْ كانوا لَمْ يَدَّعوهُ[1]، لكنَّ المانعَ يسدُّ كلَّ الطُّرقِ على المدَّعي، ويَعمَدُ على تفنيدِها الواحدةَ تِلوَ الأُخرى؛ لإقامةِ الحُجَّةِ على سُقوط دَعواهم بطريقِ السَّبر والتَّقسيم، قال القونويُّ في تفسيرِ إضرابِ الانتقالِ دونَ الإبطال: "هذا مقابلٌ لما قبلَهُ؛ نظرًا إلَى المآل، أي: أختلَّ فكرُكُم، وفسَدَ رأيُكُم حتّى حكمتُم بهذا؛ قياسًا بأمرِ الآخرَة عَلَى أمر الدُّنْيا؟ أم لكُم كتابٌ ربانيٌّ نازلٌ منَ السَّماء، فأْتوا بكتابِكُم إنْ كُنْتُمْ صادقينَ"[2]، قال الدَّرويش: "وهذا هو التَّقريعُ الرّابع"[3].

معنى (اللّام) في ﴿لَكُمْ﴾:

التَّمليكُ للكِتاب لتفنيدِ أيِّ جَواب

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(اللّام) الجارَّة، في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾؛ للدَّلالة على الملكيَّةِ والاختصاص، والغرضُ من تمليكِهم الكتابَ المطالبةُ بإخراجِهِ وقراءتِهِ على أنَّ لهم وعْدًا حسَنًا يومَ القيامةِ بالجَزاء الأوفَرِ دونَ المُسلمين.

سرُّ تقديمِ شِبهِ الجُملة ﴿لَكُمْ﴾:

تمايزُ الفريقينِ بوجودِ كتابٍ وعدمِهِ بينَ الطَّرفين

قدَّمَ النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ المتعلِّقَ بالخبرِ المحذوفِ وجوبًا من مادَّةِ الاستقرارِ، في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾، والتَّقدير: (بل ألَكم كتابٌ استقرَّ) أي: أُنكِرُ أنْ يكونَ لكم كتابٌ ثبتَ فيه شيءٌ ممّا تقولونَ؛ والتَّقديمُ للدَّلالة على الحصرِ والقَصر، أي: كتابٌ لكم دونَ غيرِكم تَدرسونَهُ، وتقرؤونَ فيهِ أنَّ لكم حقَّ الاختيار والتَّشهّي، والغرضُ من التَّقديمِ صرفُ الاهتمامِ إلى أنَّ للمُسلمينَ كتابًا يُحدِّدُ فيه الأجرَ للمُسلمين دونَ المُجرمين، وأنتم لا تمتلكونَ كتابًا مثلَهُ، في حين رأى ابنُ عاشور أنَّ تَقْديمَ ﴿لَكُمْ﴾ على المُبْتَدَأ، وهوَ ﴿كِتَٰبٌ﴾؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 93.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 241.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 180.

لِأنَّ المُبتَدَأ نَكِرَةٌ، وتَنكيرُهُ مَقصودٌ لِلنَّوعيَّةِ، فَكانَ تَقْديمُ الخَبَرِ لازِمًا"[1]، مع أنَّه سيأتي عنه أنَّ ﴿فِيهِ﴾ يحتملُ أنْ يكونَ صفةً للكتاب، وحينَئذٍ فإنَّ التَّقديمَ غيرُ لازمٍ، ويُعلَّلُ بإرادةِ الانحصار.

سرُّ التَّنكيرِ في ﴿كِتَبٌ﴾:

إسنادُ الكتابِ لـلأُمّـيِّ تنبيهٌ للجاهِلِيِّ

نكَّرَ النَّظمُ الكريم لفظَ ﴿كِتَبٌ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ للدَّلالة على النَّوعيَّة، أي: كتابٌ من نوعٍ خاصٍّ يُذكَرُ فيه ذلك الحقُّ، ويحتملُ أن يكون التَّنكيرُ للتَّفخيمِ والتَّعظيم من شأنِ الكتاب، على فَرَضِ وجودِهِ وتقديره، وفيه تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّهم أُمّيون لا يَمتلكونَ كتابًا يَدرسونَهُ، ويَحفظونَهُ، وقد كُتِب لهم فيهِ ما يَشتهونَ، ويتخيَّرونَ.

تحديدُ مُتعلَّقِ الجارِّ ومَرجِعِ الضَّمير ﴿فِيهِ﴾:

أثـرُ تـحـديـدِ مُـتـعـلَّـقِ الـجـارِّ على تنوُّعِ المَعنى والاعتِبار

يحتملُ حرفُ الجرِّ (في) من قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أنْ يكونَ مُتعلِّقًا بـ(كتاب)، و(في) حينَئذٍ: لِلتَّعْليلِ أوِ الظَّرْفيَّةِ المَجازيَّةِ، كَما تَقولُ: (وَرَدَ كِتابٌ في الأمْرِ بِكَذا، أو في النَّهْيِ عَن كَذا)، والضَّميرُ حينَئذٍ عائدٌ إلى الحُكمِ المُستفاد من قولِهِ فيما سبقَ: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، ويَكونُ ﴿فِيهِ﴾ ظَرفًا مُستَقِرًّا صِفَةً لِـ ﴿كِتَبٌ﴾، وجملةُ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ حالًا، والتَّقديرُ: (بلْ أَسْتَقِرُّ لكم كتابٌ ثبتَ في الحُكْمِ حالَ كونِكم تدرسونَهُ، وتحفظونَهُ، وتُرَدِّدونَه؟)، ويَجوزُ أنْ يَكونَ الضَّميرُ في ﴿فِيهِ﴾ عائدًا إلَى ﴿كِتَبٌ﴾، ويَتَعَلَّقُ المَجْرورُ بِفِعْلِ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ على أنَّه ظرف لغْو، وتكون جملةُ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ برُمَّتِها صفةً أوْ حالًا من ﴿كِتَبٌ﴾، وجُعِلَت الدِّراسَةُ العَميقَةُ بِمَزيدِ التَّبَصُّرِ في ما يَتَضَمَّنُهُ الكِتابُ بِمَنْزِلَةِ الشَّيءِ المَظْروفِ في الكِتابِ، كَما تَقولُ: لَنا دَرْسٌ في كِتابِ سيبَوَيْهِ، وفي هَذا إدْماجٌ بِالتَّعْريضِ بِأنَّهُم أُمّيّونَ لَيْسوا أهْلَ كِتابٍ، وأنَّهُمْ لَمّا جاءَهُمْ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 93.

كِتابٌ لِهَدْيِهِم وإلْحاقِهِمْ بالأُمَمِ ذاتِ الكِتابِ؛ كَفَروا نِعْمَتَهُ، وكَذَّبوهُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: 10]، وقالَ: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ﴾ [الأنعام: 157][1]، ورجَّحَ القونويُّ الثّانيَ بقوله: "و﴿فِيهِ﴾ صِلةُ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ قُدِّمَ عليه لرعايةِ الفاصلة، فحينَئِذٍ الضَّميرُ للكتابِ، ويجوزُ تعلُّقُه بمتعلَّقِ الخبرِ، والضَّميرُ لـ(حُكمهم)؛ فحينَئِذٍ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ استئْنافٌ، وكونُه حالًا ضعيفٌ؛ إذِ المقارنةُ تحتاجُ إلَى التَّمحُّل، والظّاهر هوَ الأوَّلُ؛ إذِ الثّاني يَحتاجُ إلَى تقديرِ المُضافِ، أي: في بيانِ حُكمِهم"[2]، وجوَّزَ الهرريُّ الظَّرفيَّةَ الحقيقيَّةَ، بإرجاعِ ضميرِ ﴿فِيهِ﴾ إلى: يومِ القيامة[3].

مَعنى الفعلِ المُضارعِ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالفعلِ المضارعِ ﴿تَدْرُسُونَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على الإنكارِ لامتلاكِهم كتابًا، فيه ذلك الحُكمُ المُدّعى حالَ كونِهم يتدارسونَهُ فيما بينَهُم، على سبيلِ التَّجدُّدِ والتَّكرارِ والمُراجعةِ المُستمرَّة، قالَ القونويُّ: "أي: على الدَّوام، ولذا لم يَجِئ الماضي"[4]، وتُفيدُ المادَّةُ المتابعةَ بالقراءة والاعتناءَ بالمُراجعة الدّائبةِ من أجلِ الضَّبط والإتقانِ للمادَّة المدروسةِ فيه، والأحكامِ المُشتملِ عليها الكتابُ، وفيه تعريضٌ بأُمِّيَّتِهم وجَهلِهم بالكتبِ، فضلًا عن المُدارسةِ والمُتابعةِ والمُراجعةِ.

إنكارُ كتابٍ يَتدارسونَهُ تعريضٌ بعميقِ ما يَجهلونَهُ

مَوقِعُ جُملةِ ﴿تَدْرُسُونَ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بالجملةِ الفعليَّة ﴿تَدْرُسُونَ﴾، من قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ للدَّلالة على التَّجدُّدِ والحدوثِ

تعدُّدُ التَّوجيهاتِ وأثَرُهُ في الدَّلالات

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 93.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 242.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 101.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 241.

لعمليَّة المُدارسَة والمُتابعة، لكنَّ هذه الجملة تحتملُ أنْ تكونَ حاليَّةً مقيَّدةً؛ إنْ جعلنا ضميرَ ﴿فِيهِ﴾ راجعًا إلى الحُكم المدَّعى، والتَّقدير: (كتابٌ في الحُكم المدَّعى حالَ كونِكُم تدرسونَهُ)، أوِ استئنافٌ للدَّلالة على إنكارِ الكتاب المتضمِّن للحُكمِ المدَّعى فقط، ثمَّ استأنفَ، فقالَ: ﴿تَدْرُسُونَ﴾[1]، وإنْ جعلنا ضميرَ ﴿فِيهِ﴾ راجعًا إلى (الكتاب)، فإنَّ جملةَ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تحتملُ أنْ تكونَ حالًا مُقيِّدةً لاستقرارِ الكتابِ لهُم، وتحتملُ أنْ تكونَ صفةً للكتاب بأنَّه مدروسٌ، ولا يحتملُ الاستئنافَ حينَئذٍ؛ لأنَّ الضَّمير لا يرجعُ إلى ما انفصلَ الكلامُ عنهُ.

مَعنى ﴿إِنَّ﴾ والغرضُ مِنها:

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ﴿إِنَّ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّأكيدِ للحُكم المُنكَر عليهم، على جهةِ التَّهكُّم بهم؛ والاستخفافِ بدَعواهم؛ إذِ المعترضُ عليهم يُنزِّلُ منعَهُ على وفقِ دَعواهم أنَّ لهم سندًا حقيقيًّا، ويفترضُ أنَّ هذا السَّند مؤكَّدٌ عندَهم، ثمَّ يُكرُّ عليه بالرَّدِّ والتَّفنيد.

تنزيلُ المَعدوم منزلةَ الموجود للرَّدِّ على المُفترضِ المَوهوم

سرُّ تقديمِ الخبرِ في ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾:

قدَّمَ النَّظمُ الكريم شبهَ الجُملة ﴿لَكُمْ﴾ المتعلِّقَ بالخبرِ المحذوفِ وجوبًا من مادَّة (الاستقرار)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ للدَّلالة على الحَصْرِ والقَصْر، فيكونُ التَّخيُّرُ لكم دونَ غيرِكم، وبذلك يتناسَقُ التَّقديمانِ في الدَّلالةِ على الحَصْرِ، فيكونُ الكتابُ الذي تدرسونَ فيه لكم لا لغيرِكُم، والتَّخيُّرُ لكُم دونَ مَن سِواكم، وكلُّ هذا التَّقديم يفيدُ التَّعريضَ والتَّهكُّمَ بحالِهم؛ ليَنظروا نظرةَ مُعتبِرٍ في حقائقِ الأمور، ويُقلِعوا عن الأوهامِ والرَّجمِ بالغَيب.

التَّهكُّمُ بالجاهلين لينظُروا للحقيقةِ بطريقِ المُعتبرين

مَعنى الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهِ﴾:

عبَّر النَّظمُ الكريم بالجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهِ﴾، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 30/ 126.

الظَّرفيَّةُ الحقيقيَّةُ والمَجازيَّة ردٌّ على ادِّعائِهم الاختياريَّة

﴿لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ إمّا للدَّلالةِ على التَّأكيدِ اللَّفظيِّ لـ﴿فِيهِ﴾ في ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، وقد أُعيدَ لمزيدِ الرَّبط بين الجُملتين، الدّارسةِ في الكتابِ والمَدروسةِ الَّتي هي لفظُ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ بناءً على أنَّ ضميرَ ﴿فِيهِ﴾ الثّانيةِ راجعٌ إلى (الكتاب)، وأمّا إنْ عادَ الضَّميرُ في ﴿فِيهِ﴾ إلى يومِ القيامةِ، فلا يكونُ توكيدًا، بل يدرسونَ في الكتابِ أنَّ لهم في يومِ القيامةِ تخيُّرًا، ولا تكون الجملةُ محكيَّةً بلفظِها، والظَّرفيَّةُ على الأوَّل مجازيَّةٌ؛ إذ التَّخيُّرُ لا يكونُ في الكتابِ حقيقةً بل باعتبارِ ما في الكتاب، وعلى الثّاني فالظَّرفيَّةُ حقيقيَّةٌ لوقوعِ التَّخيُّرِ في يومِ القيامة، وعلى كلتا الظَّرفيَّتين يحصلُ النَّفيُ لتخيُّرِهم باعتبارِ ما في الكتابِ أو بالنَّظر إلى يومِ القيامة.

معنى (اللّام) في ﴿لَمَا﴾:

تَوالي المُؤكِّدات لرفضِ جميعِ الادِّعاءات

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بـ(اللّام) في قولِه تعالى: ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ للدَّلالة على التَّوكيدِ؛ بناءً على أنَّها لامُ الابتداءِ الواقعةُ في حيِّز ﴿إِنَّ﴾، سواءٌ كانَ موقعُ جملةِ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ مفعولًا به محكيَّ اللَّفظِ على أنَّها جملةٌ، أوْ كانتْ واقعةً موقعَ المفردِ على أنَّها مفعولٌ به، وفُتحتْ (إنَّ) بسببِ وقوعِ (لام الابتداءِ) في حيِّزِها، كما تحتملُ أنْ تكونَ (اللّام) زائدةً للتَّوكيد؛ بناءً على فتحِ همزةِ (أنَّ)، وعلى كلا التَّوجيهين فإنَّ (اللّام) تفيدُ التَّوكيدَ كما تفيدُهُ ﴿إِنَّ﴾، والتَّوكيدانِ معَ التَّوكيدِ المُستفادِ من ثُبوتِ الجُملةِ الاسميَّة، وتقديمِ الخَبر على المبتدأ، مَسوقٌ للتَّهكُّم بحالهم والتَّقريعِ على أوهامِهم وظنونِهم؛ إذ كلُّ هذه المؤكِّدات واردةٌ في سياقِ النَّفي والإنكارِ والرَّدِّ والمَنع، ولذا قال الطَّبريُّ: "وهذا أمرٌ من اللّه، توبيخٌ لهؤلاءِ القومِ وتقريعٌ لهم فيما كانوا يقولونَ منَ الباطل، ويتمنَّونَ من الأمانيِّ الكاذبة"[1].

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 553.

معنى (ما) والغرضُ مِنها في ﴿لَمَا﴾:

عمومُ المُتخيّرات إبطالٌ لظُنونِ الخُرافات

عبَّرَ النَّظمُ الكريم بـ(ما) الموصولةِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ للدَّلالة على العُموم والشُّمول للمُتخيَّر، الصّادقِ بكلِّ صوَرِ التَّشهّي؛ استخفافًا بعقولِهم وازدراءً لأوهامِهم؛ إذ كلُّ ذلك على سبيلِ الفَرْض المَنفيِّ وقوعُهُ وحصولُهُ، ويُلمَح في (ما) هذه دلالةُ التَّفظيعِ والتَّفخيم والتَّهويلِ لذلك الحُكم؛ لافتئاتِهم بهِ على اللهِ تعالى.

مَعنى الفعلِ المُضارعِ ﴿تَخَيَّرُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

إبطالُ التَّخيُّرِ دعوةٌ للتَّفكُّر

عبَّر النَّظمُ الكريمُ عن صدرِ جُملة الصِّلة بالفعلِ المُضارعِ ﴿تَخَيَّرُونَ﴾، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ للتَّخيُّرِ بحيثُ يَتخيَّرونَ ما يشاؤونَ في الكتابِ أو في يوم القيامة، كما تُفيدُ صيغةُ التَّفعُّلِ المُطاوعةَ، فيكونُ الكتاب قد أعطاهُم حقَّ التَّخيُّرِ، فيَتخيَّرونَ ما يشاؤونَ في ذلك اليوم أو في ذلك الكتاب، كما تحتملُ الصّيغة دلالةَ التَّكلُّف، ولذا قال ابنُ عاشور: "﴿تَخَيَّرُونَ﴾ أصْلُهُ تَتَخَيَّرونَ بتاءَيْنِ، حُذِفَتْ إحْداهُما تَخْفيفًا، والتَّخَيُّرُ: تَكَلُّفُ الخَيرِ، أي: تَطَلُّبُ ما هوَ في أخْيَر، والمَعْنَى: إنَّ في ذَلِكَ الكِتابِ لَكُمْ ما تَختارونَ مِن خير الجَزاء"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدَّرسُ والعلمُ والمَعرفة:

الـدَّرسُ أعـمُّ منهُما عُمومًا مُطلَقًا

(الدَّرسُ) أعمُّ من (العِلْم والمَعرفة)، فإنَّ الملحوظَ في الدَّرسِ جهةُ تكريرِ النَّظر وإدامةِ العمَل، وأمّا حصولُ العِلْم والمَعرفة؛ فغيرُ مأخوذٍ في مَفهومِه، وهذا لطفُ التَّعبيرِ بالمادَّة في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ دونَ (العلْم والمَعرفة)، فإنَّ النَّظر في الآياتِ إلى هذه الجهةِ الظّاهريَّة من دونِ حُصولِ علْمٍ ويَقينٍ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 94.
(2) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 3/ 191.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"